شاعر الجرمان الأعظم

يحيى ولفغنغ غوتة

JOHANN WOLFGANG GŒTHE

الأستاذ جليل

طلع (يحيى ولفغنغ غوث) ناظم معانى (إنّ بالشعب ...) باللسان الجرمانى على الدنيا سنة ١٧٤٩ وغاب سنة ١٨٣٢

وشعر ونثر — وقد هذب الدهر لغة القوم — فخير وبهر.

وقد روى الراوون محققين وصادقين أنه قَرزمَ[1] وهو ابن ست سنين ! « يا يحيى ، خذ الكتابَ بقوة ، وآتيناه الحكمَ[2] صبيًا »

وهو ثانى اثنين فى الأقاليم الغربية لا ثالث معهما ، ولن يكون الثالث ... وإن سبق صاحب (هملت) فى القريض بجملة أقواله فقد بذّ غوثٌ شكسبير بفوست . ليست لشكسبير شبيهة فوست

وغوث هذا هو ذو النقبتين أعنى العبقريتين : العبقرية الشعرية ، والعبقرية العلمية . وهما عبقريتان لا تلتقيان عند إنسان . فأعظمُ بدماغ لف هاتين الفوتين ، وألّفَ بين النّضرتين ![3] أعظم به ثم أعظم !!

ولقد ظاهرت مؤلفات هذا العبقرى مقالات الوحديين والنشوئيين[4] وأشياعهم كما ظاهرهم قريضه — أيما مظاهرة . وقال فى (التحول)[5] فى مباحثه ذات القدر فى النبات[6] والحيوان مستقرياً مدققاً ، ومفصلاً موضحاً ، وهادياً أولى النهى إلى تلك القرابات الواشجات قبل أن يقول ابن لامرك ، وقبل أن نسمع ابن دروين . ويدُ هذين العَلَمين العلامتين فى تينك المقالتين[1] المشهورتين يما بسطا فى شرحهما فا البسط وبتلك الإحاطة — مذكورة مشكورة لا تكفر . وللسلف الصالح كلمات فى هذه المعانى مختصرة متفرقة فى المصنفات مبثوثة فى المواضع المختلفة ، وفى بعضها ما يلاق تصريح بخنر وهيكل وهكسلى . وفى (الرسالة) ذات الرقم ٢٥٥ ص ٨٤٨ جملة ابن خلدون المجملة فى تدريج التكوين . إنها سنة الله فى إنشاء الكائنات « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

والأستاذ (أرنست هيكل) يذكر فى أكثر كتبه أعظم شعراء الجرمان ومفكريهم — كما يصفه — مفخما ومتقوياً بأقواله فى مقالته (الوَحدية[2]) ومباحثه المحكمة المحققة النشوئية . وقد أورد فى كتابه (تاريخ الخلق الطبيعى[3]) فى الباب الرابع نصوصاً أو شذرات من مؤلفات (غوث) تعلن سبقه رجال (المذهب) فى الاهتداء إلى ما هداه الله إليه

وكان نابغة الجرمان ، سيد الجرمان يجل قائدنا وهادينا (أبا القاسم) إجلالاً كبيراً . ولن تنسّى حسناتِ لغوث تخاليطُ فى (رواية) . وقصيدته فى يوم النصر ، يوم الفصل ، يوم (بدر) وشهدائه المؤمنين الخالدين الأبطال — شمس تضىء ، شمس مضيئة أو سورة . وإن قوله فى (القرآن) لهو القول . إنه يراه قد أعطِى فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه كما يراه قوياً (إشْتِرْنك[4]) عظيما ساميا متعاليا (إرْهابِنْ[5]) رائعاً مهيباً (فُورْشْتْهارْ[6]) قد خرق العادة ؛ فلا غرو أن يبلغ أثره فى العالم حيث بلغ

يا كتاب محمد ، يا كتاب عظيم الدنيا ، يا أعظم كتاب فى هذا الكون ، يا خالق هذى الأمة ، يا بانى ذاك المجد ، هل يعرفك حق معرفتك إلا العبقريون ، إلا الأقطاب الأغواث (النوثيون) ؟ !

---

(١) القرزمة : الابتداء بقول الشعر . (الأمالى ، التاج)

(٢) الحكم : الحكمة . وفى حديث إن من الشعر لحكما أى حكمة ويروى : حكمة

(٣) الضرتان : امرأتان الرجل ، سميتا ضرتين لأن كل واحدة تضار صاحبتها (اللسان) والضرائر الأمور المختلفة كضرائر النساء لا يتفقن (النهاية) يبنهم داء الضرائر : الحسد (الأساس)

(٤) Évolutionnistes, Manistes

(٥) Tranformisme

(٦) فى كتابه المشهور Métamorphose des plantes سنة ١٧٤٠

(١) Théorie de la descendance سنة ١٨٠٩ Théorie de la sélection سنة ١٨٥٩

(٢) Manisme

(٣) Histoire de la création naturelle

(٤) و (٥) و (٦) ألفاظ جرمانية من وصف (غوث) (الكتاب العجز الكريم .

هل يعرفك الجهلاء الأغبياء البله العمهون ؟

هل يعرفك العوام أو أشباه العوام من الأدّيين والمعممين[1] ؟

هل يعرفك الشعارير أو المتشاعرون والكوتيبون الصغيرون الحقيّرون الأمعون[2] ؟

هل يعرفك كل وغد نغل (مزور) مائن من المضللين الوقحين ؟

ألا إن القرآن فى الكلام مثل محمد فى الأنام ، فإن وجدت لمحمد خطيراً[3] ألفيت للقرآن نظيراً « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

وكان الأستاذ الأكبر (أرنست هيكل) يجهر كذلك بتبجيل (أكبر معانى الكون وصفوة النوع الإنسانى) ، وبتفضيل شرعته — والإسلام يعلو ولا يُعلَى — على تيفك النحلتين . وذكره معظماً فى كتابه (أحاجى الكون)[4] أو معضلات الكون — وفى غيره من كتبه — وأظهر فى ذلك الكتاب الهادى أثر زيارته مساجد فى نفسه حينما جاء الشرق (سنة ١٨٧٣) مادحاً هدوءاً وخشوعاً وسكينة فيها ، وهاجياً ضجيجاً وعجيجاً وشبذة فى معابد أقوام وملة سماهم وسماها ، ولا أرى أنا أن أسميهم أو أسميها فى هذا المقام حتى لا يغضب أصحاب لنا وأحباب

وغوث مطوق بفضل علمه وأدبه أجياد جميع الجرمانيين ، ولم يتفلت من قيد إحسانه متفلت منهم . فكل جرمانى — كما يقول أحد الجرامنة — إما أن يكون قد درس مؤلفات غوث فاستفاد منها ، أو استفاد ممن درس مؤلفات غوث . ففضلُ (ذى المنقبتين) قد عم القوم قاطبة — عموماً

وإن شئت نقل : إن أمة غوث تتلو صحفه كما يتلو أهل الحنيفية (الكتاب) وكما يقرأ القراءون[1] من اليهود والنصارى التوراة والإنجيل

وكتبه عند الجرمانيين ثروة كريمة جسيمة ، وقد أربت على أكثر من مئتى مؤلف

وغوث هو شائد الوحدة الجرمانية الحق ؛ فلغته وأدبه هما اللذان جمعا كلمة أولئك الأقوام المتفرقة ، وألفا بين قلوبهم المتوزعة . ولو أقامت (سياسة بسمرك) ألف سنة تجد فى الضم والتأليف ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن غوثاً ألف بينهم . إن سلطان الأدب والأديب واللغة فى الأمم لقوى عظيم

وصيت هذا العبقرى ومكانته فى غير أمته من الغربيين مثلهما فى أمته . وخلقه العالى وفضائله أعظم من شعره العجيب وعلمه . قال له كبير ذات يوم : ياغوث ، لقد أفاد الناس سلوكك ، وسيرتك أكثر مما استفادوا من علمك وأدبك . وأدبه وعلمه هما ما علمت

وإن بلاغة غوث وبراعة شكسبير لتعجزان عن أن تبينا فضائل تلك السيرة مزاياها وعجائبها ، فالجأ إلى النوم واسجن فى ظله

وقال نابليون بونابرت وهو يوعّ بيده إلى القطب الغوث (غيث) : هذا رجل[2] !

ولو أنصف هذا الملك لقال : هذا ملك[3]

إنما غوث ملك : ما هذا بشراً ، إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم !

وإن غوثاً وأمثال غوث من العبقريين العظيمين الكرام الكاتبين الكاملين ، لمستغنون جد مستغنين عن شهادات المعجبين وإطراء المطرين من النابوليين وأشباه النابوليين

إنه الشمس تبدت ضحوة ، نورها الباهر خير الشاهدين ...

(***)

---

(١) فلان معمعي : لا رأى له يقول لكل أحد أنا معك

(٢) الأمع والأمع هو الرجل لا رأى له ولا مزم ، يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شيء ، والهاء فيه للمبالغة ، ولا نظير له إلا رجل أمر وهو الأحمق . وكذلك الأمزة وهو الذى يوافق كل انسان على مايريده ، وتامع الرجل واستأمع ، ورجال أمعون ، ولا يجمع بالألف والتاء (التاج)

(٣) فلان ليس له خطير أي ليس له نظير . وهذا خطير لهذا أى مثل له فى القدر ، ولا يقال للدون إلا لمعنى السرى (اللسان)

(٤) Les énigmes de l'univers

(١) القراء — كرمان — الناسك المتعبد ج قراءون ، وتقرأ إذا تفقه وتنسك (التاج)

(٢) هذا رجل : أى كامل فى الرجال (الأساس)

(٣) قال الحكيم أبو العلاء :

ثلاث مراتب : ملك رفيع وإنسان وجيل غير أنس
فان فعل امرؤ خيرا تعالى إلى قنس الملائك خير قنس
وإن خفضته همته تهاوى إلى جنس البهائم شر جنس

فى الأساس : فلان واحد من جنسك ، وشعبة من قنسك : أصلك القنس بفتح أوله وكسره